ما بعد الخطوط الحمراء

دار خيال للنشر والترجمة ©
تجزئة 53 **قطعة. رقم** 27. **بليمور**
برج بوعريريج – الجزائر-
0668779826
Khayaleditions@gmail.com
ردمك :978-9931-06-749-8
الإيداع القانوني : جوان 2023.

بوفاتح سبقاق

ما بعد الخطوط الحمراء

قصص

أجساد وأوغاد

-لا تخف، هذه الأمور تحدث منذ زمان وفي كل الأوطان إنها ظاهرة قديمةوستبقى.

- لا أرغب في دخول هذه الأماكن المشبوهة.

-أماكن مشبوهة؟ مجرد مصطلح للاستهلاك الإعلامي في الحقيقة هي مساحة للراحة الجسدية والروحية، كبار القوم يترددون عليها من أجل التخلص من التوتر والإرهاق يخدمون الوطن ومن حقهم استرجاع قدراتهم الذهنية وهذه الفضاءات تمنح المرء طاقة كبيرة لمواجهة مصاعب الحياة.

بمجرد دخوله إلى المنزل الفخم الموجود في أعالي المدينة فوجئ بالأجواء الساخنة التي لم يتعود عليها، أضواء احتفالية وديكور مميز، وكأنه يشاهد فيلما ممنوعا من العرض، أجساد متناثرة هنا وهناك وموسيقى رومانسية فعلا عالم آخر ! يختلف كثيرا عن واقع الطبقة المسحوقة.

جلس بمكان منزوٍ حتى يتسنى له معاينة الوضع العام بكل هدوء، صديقه المتعوّد على هذه الأجواء اندمج بسرعة

واختفى بين الأجساد، كثير من الوجوه المرموقة تملأ المكان رجال أعمال وبعض الإطارات وهناك آخرون لا يعرفهم واضح أن هذا الوكر الساخن يحظى باهتمام نخبة كبيرة من الطبقة المخملية.

حاولت فتاة شقراء أن تتقرب منه ولكنه استطاع أن يفلت من شباكها بكل لباقة، لحد الساعة يعتبر نفسه مشاهدا عابرا، ربما مشاركته مؤجلة إلى وقت لاحق.

وفجأة تم اقتحام الحفل الملتهب من طرف رجال الشرطة وعمت الفوضى المكان، لم يتمكن من الهروب لأن المنزل محاصر من كل الجهات.

وجد نفسه مكبل اليدين رفقة كل الفرقة الرومانسية نساءً ورجالا تم اقتيادهم إلى مركز الشرطة المجاور، التهمة جاهزة ومعروفة: ممارسة أفعال مخلة بالحياء.

تذكّر صديقه الذي كان يخبره بأن ما يقع عادي جدا،غدا سوف يتصدر عناوين الصحف، القبض على كهل في منزل مشبوه، لقد توقّع كل السيناريوهات في حياته إلا هذه الفضيحة في خريف العمر.

- لاتخافوا يا أصدقائي سوف يتدخل أحبابنا وينقذوننا من هذا الموقف المضحك المبكي قال أحدهم.

-يبدو أنها مؤامرة من الذين لم يتم دعوتهم للسهر معنا.

البحر الأبيض الحزين

كانت ليلة غريبة تختلف عن كل الليالي، غدا مساءً تبدأ الرحلة نحو المجهول، "إسبانيا" الحلم الذي سيتحقق قريبا وأخيرا جاء دوره، لقد رحل كل الأصدقاء أضحت تلك الأمكنة التي كان يجلس فيها معهم خالية موحشة وتبعث بالكثير من الحزن.

أخبر والدته بأنه مسافر إلى مدينة مجاورة للبحث عن فرصة عمل، والده لا يهمه الأمر فهو دوما يشجعه على السفر والترحال، في الحقيقة لم يعد أحد يكترث لحضوره أو غيابه، سنوات البطالة الطويلة جعلته يتحول إلى شبح غير مرغوب فيه بالمنزل.

نهض مبكرا للقيام بجولة في المدينة، يريد أن يودع مقاهيها وجدرانها وأزقتها، مدينة لم تمنحه سوى الأحلام الزائفة والانتظار الممل، كان في بداية شبابه متفائل بالغد الواعد.

ولكن كل الأيام متشابهة لا جديد، فرص التوظيف منعدمة والحظ لم يحالفه في كل مساعيه،الفشل رفيقه اليومي كل شيء ثابت في حياته المتغير الوحيد هو الزمن. قطار العمر يمضي وهو ما زال واقفا في محطة الانتظار بطال لا أفق أمامه.

أحيانا يحس بأنه مجرد مشاهد يومي متابع لشريط حياته الفارغ من كل شيء لاقصة ولا عقدة لا بداية ولانهاية مجرد أصوات لباعة متجولون أو صراخ نادل في مقهى أو شخص غريب عن المدينة يسأله عن عنوان ما، فيلم وثائقي ممل جدا بدون جينيرك وبدون تشويق فيلم غير قابل للعرض، إنها فعلا حياة بطعم الموت المؤجل.

في اليوم الموالي كان يجلس وحده في شاطىء مهجور احتضن حقيبته الصغيرة وكأنه يتمسك بحلمه الكبير إذا سارت الأمور بخير غدا سيكون في الضفة الأخرى سيدخل الأندلس المفقود، ليس فاتحا مثل أجداده ولكن بثوب شاب أنهكته الأيام يبحث عن حياة جديدة في القارة التي يقال عنها العجوز وماذا عن قارة إفريقيا؟ السمراء فقط والباقي كله متاعب وأحزان.

بعد ساعات وصل كل الموعودون بالفردوس تباعا تنظيم محكم من طرف المشرفين على الرحلة، القارب يبدو من النوع السريع مجهز بكل ما يلزم لهذه المغامرة.
بمجرد انطلاق القارب بدأ البعض في التصوير،انها نفس الفيديوهات المنتشرة على الأنترنت والتي تعتبر بمثابة طعم لكل الشباب لاحقا.

مهما تظاهروا بالسعادة، ولكن عيونهم وقلوبهم كلها تعكس هروب من المعاناة ومن البطالة ومن المآسي، حين تصبح الحياة تعادل الموت، تصبح كل مغامرة نحو المجهول مشروعة وضرورية.

بدأ يكتشف شيئا فشيئا الركاب، يشبه الأمر الخروج من العتمة إلى النور، في الحقيقة كلهم يكتشفون بعضهم تدريجيا، الساعات تمضي البحر والسماء لا غير يصبح تأمل الوجوه واجبا مقدسا، في مقدمة القارب يجلس ثلاث شبان يتهامسون منذ بداية الرحلة يبدو أنهم قادمون من حي واحد ولديهم هدف واحد الوصول إلى الضفة الأخرى.

في الوسط رجل ملتحي يقرأ القرآن وعلى جانبه آخر يقرأ جريدة يومية، يبدو أنه يشحن ذاكرته بآخر أخبار الوطن.

بعد ساعات في البحر لاشيء في الأفق، القلق والخوف يغزو كل الوجوه، القارب أضحى نقطة في بحر والأمواج تضرب بقوة تبعث في النفوس الرهبة والحيرة.

قريبا نصل إلى الضفة الأخرى لاداعي للقلق أنا متعود على هذه الأجواء قال المرشد. بعد أيام في أعالي البحار لاحت عن بعد الصخور، والنوارس وأخيرا تحقق الحلم الفرحة تسود القارب وتعالت الأهازيج الممزوجة بالبكاء والدموع.

تحت المراقبة

دخل إلى المقهى الذي اعتاد الجلوس فيه كل صباح، مهمته منذ شهر مراقبة تحركات مثقف مشبوه قد يشكل خطرا على المصالح العليا للبلاد، حسب ما قيل له، من خلال خبرته في الميدان لم يعد يهمه طبيعة الأشخاص، بقدر ما يهمه تقديم تقرير يومي مفصل عن تحركات المعني للجهة المختصة، فهو يعمل لدى هيئة نظامية ويتقاضى أجرة شهرية وعليه أن يضمن ترقية تنقله من الشوارع والمقاهي إلى المكاتب، من أجل ضمان تقاعد مريح في آخر المطاف. بعد لحظات وصل الرجل المثقف كعادته يحمل معه الجريدة، جلس في مكانه المعتاد وطلب فنجان قهوة، لا شيء تغير في يومياته، سوف يقرأ جريدته باهتمام كبير، انه الرجل الوحيد الذي يقرأ الجرائد في هذا المقهى، الآخرون يتصفحون هواتفهم النقالة أو يشاهدون المقابلات الكروية. لايدري سبب مراقبته ولكنه ينفذ الأوامر لا غير هذا الرجل المثقف يبدو مهذبا جدا والابتسامة لا تفارق

وجهه لحد الساعة، يستغرب أن يكون مصدر خطر على استقرار الوطن.

دارت هذه الأفكار بذهنه ولا أحد يمكنه أن يحاسبه عليها، ولكن حين يعود إلى تجاربه السابقة، يدرك أن الكثير يرتدون قناع الطيبة والتسامح ويخفون الكثير من الإجرام والحقد.

نهض الرجل المثقف وغادر المقهى تاركا الجريدة على الطاولة، يبدو أنه يشجع الآخرون على المطالعة. سوف يذهب إلى الحي الشعبي القريب من وسط المدينة ليزور والدته، انه نموذج الإبن البار، وبعدها سوف يغادر إلى مكتبه في مبنى شركة التأمينات.

نفس التقرير يقدمه لرئيسه كل مساء، لم يتغير شيء في حياته منذ أشهر، يتوقع أن تُرفع عنه المراقبة المستمرة قريبا، ربما هناك خطأ في المعلومات الواردة عنه. في الطابق الخامس من مبنى الهيئة المكلفة بالإستعلام كان الحوار غير عادي.

-حسب التقارير اليومية التي تصلني لاشيء يثير الانتباه هل كانت مراقبتك له مستمرة ؟

-نعم سيدي راقبت كل تحركاته طيلة الفترة السابقة حتى في الليل لا يخرج من مسكنه.

-ولكن في مواقع التواصل الإجتماعي يبدو صاحبنا "شي غيفارا" زمانه على كل واصل عملك وسوف نتّخذ تدابير أخرى لاحقا.

في اليوم الموالي الذي كان يفترض أن يكون نسخة طبق الأصل للأيام السابقة، تفاجأ المكلف بالمراقبة بوجود شخص جديد في المقهى لم يسبق له رؤيته، جلسته وهندامه تدل على أنه غريب أو لديه مهمة خاصة في المكان.

دخل المثقف يحمل جريدته اليومية وجلس يتصفح أخبار وأحوال البلاد والعباد، في حين كان الواصل الجديد للمقهى يراقبه بكل اهتمام.

اختلطت كل الأوراق بظهور رجل جديد في المشهد الروتيني اليومي، يبدو أن الجهات العليا كلّفت مراقب جديد يراقب الجميع، وخاصة أن التقارير اليومية أصبحت مملة وبدون أي نكهة.

تعديل حكومي مرتقب

لا حديث هذه الأيام سوى عن تعديل حكومي مرتقب هل سيتذكره أصحاب القرار؟ لقد تغيرت الكثير من المعطيات ربما يفكرون في تلميعه وتقديمه من جديد لهذا الشعب الذي سئم الوجوه القديمة.

يتعين عليه السفر إلى العاصمة، حيث يحدد مصير البلاد والعباد، سوف يزور صديقه عصام الذي يعرف دواليب السلطة من زمان.

_ الأوضاع تغيرت كثيرا صديقي، التوازنات القديمة اختفت تصور أنني لحد الساعة لم أتمكن من فك شفرة النظام الحالي.

_ولكن مهما كانت الأوضاع لا أظن أن الممارسات التي تعودنا عليها تختفي بين عشية وضحاها.

ارتشف عصام ما تبقى من كأس الشاي.

_ فعلا لا يمكن القيام بوثبة تاريخية في حيز مكاني ضيق ولكن هناك فرق كبير بين ما يقال في وسائل الإعلام وبين ما يقع في الكواليس والصالونات الليلية.

في اليوم الموالي نهض صاحبنا مبكرا على غير عادته وجهته هذه المرة أعالي العاصمة من أجل مقابلة وزير متقاعد من الجيل القديم، يعرف خبايا السلطة ودواليبها، استطاع أن يحصل على موعد معه بفضل تدخل عصام حسب هذا الأخير فإن الرجل يعتبر آخر ما تبقى من العلبة السوداء عاصر الكثير من الحكومات ويعرف الوصفة السحرية لصناعة وزير.

قاعة الانتظار توحي بتاريخ عريق للرجل، شهادات تقديرية أوسمة ومجسمات ومكتبة زاخرة بالعناوين ولوحات لكبار الرسامين فعلا أنه متحف يسر الناظرين والمنتظرين.

دخل الوزير المتقاعد بخطوات متثاقلة تعكس سنوات من النضال عبر المناصب الحكومية المختلفة، جلس في الأريكة المقابلة لصاحبنا.

- مرحبا بك حسب ما أخبرني صديقنا المشترك فأنت تطمح إلى منصب وزاري.

- أشكرك سيدي على استقبالك السريع لي، فعلا أتمنى أن يكون تحقيق حلمي على يديك.

تأمله بطريقة مسرحية تعكس واقع المهرج السياسي البارع.

- في الحقيقة الوضع حاليا يختلف كثيرا عن السنوات السابقة، الخلطة الحكومية المزمع انشاؤها غامضة وقنوات الاتّصال السابقة لم تعد متوفرة ولكن سوف أحاول اقتراح اسمك فور اتصالهم بي.

خرج صاحبنا من منزل الوزير السابق بدون آفاق واضحة فعلا العاصمة تغيرت كثيرا وهؤلاء الذين يتكلم عنهم وينتظر اتصالهم أين هم الآن؟

بعد أسبوع من التجوال بين الوزراء السابقين وبعض زعماء الأحزاب الفاعلة، عاد إلى مدينته الداخلية بخفي حنين الوعود كثيرة ولكن يبدو أنهم أضاعوا البوصلة السياسية والأوراق لم تعد بين أيديهم بل أضحت متناثرة هنا وهناك في أماكن لا يعرفها أحد.

حين تبتسم الأقدار

مع غروب الشمس وصلت إلى نفس المكان الذي تنام فيه كل مساء ركن منزوٍ على بعد أمتار من مقر الشرطة. لقد اهتدت إليه مؤخرا، يبدو لها أكثر أمانا زيادة على أنه محمي بجدران بمثابة حاجز أمام البرد القارص والكلاب المشردة والكلاب البشرية.

الكرتون أضحى رفيقها الدائم، غطاء مهترئ مع أواني قليلة وحقيبة ظهر فيها أغراضها، مشردة منذ سنوات دارت الأيام وأصبح الشقاء عنوان رئيسي لحياتها البائسة.

في تلك الليلة الشتوية، كانت نائمة وتحاول أن تتمسك أكثر بالغطاء الذي لم يصمد أمام قساوة البرد وفجأة سمعت صراخ وأصوات غريبة، أطلت من مكانها المنزوي لتشاهد شاب يتعرض إلى اعتداء من طرف بعض المنحرفين، كان يتلقى إلى ضربات قوية ويطلب النجدة تسللت بكل حذر وتوجهت إلى مركز الشرطة المجاور لتخبرهم بما يجري.

في لمح البصر إلتحق رجال الشرطة بالمكان وحاصروا العصابة، تم القبض على المنحرفين وانقاذ الشاب في آخر لحظة.

عادت إلى مكانها من جديد لتواصل رحلتها مع هذه الليلة الشتوية الغريبة، في حين تم نقل الشاب إلى المستشفى بسرعة من أجل اسعافه وإنقاذ حياته.

في الليلة الموالية كانت تجلس في مكانها المعتاد تنتظر شاحنة الجمعية الخيرية التي تقدم وجبات ساخنة وفجأة سمعت صوت يناديها.

-أهلا سيدتي مساء النور.

كانت تظن بأنه أحد المشردين يريد أن يقاسمها المكان ولكنها سرعان ما استدركت بأنه الشاب الذي أنقذته أمس.

- أشكرك كثيرا على ما قمت به لقد أنقذت حياتي ولن أتركك في هذا الشارع بأخطاره وطقسه البارد.

وفجأة ظهرت والدته أيضا، وطلبت منها أن ترافقهم إلى منزلهم، ركبت معهم في السيارة، حاملة معها بعض أغراضها وهي لا تصدق بأنها تخلصت من جحيم الشارع وحياة التشرد.

كانت تلك بداية حياة جديدة، وأخيرا ابتسمت لهاالأقدار ستعيش واقعا جديدا وتتخلص من كل الذكريات السيئة والمتاعب التي لازمتها فترة طويلة.

ذكريات فوق السحاب

تجاوز مدخل الطائرة بكل تثاقل، في خريف العمر أصبح لكل حركة وقعها الخاص، أضحت الأمراض رفيقه الدائم معارض سياسي سابق لكل الأنظمة ولكل الحكومات حتى فترات اعتقاله التي دامت سنوات أثرت كثيرا على وضعه الصحي.

وأخيرا تحصل على تكفل طبي للعلاج خارج البلاد، أنه عهد جديد لا يحاسب أحد على ماضيه زيادة على أنه لم يعد لديه القدرة على معارضة أي نظام حكم.

المضيفة تتحدث عن مخارج النجدة وغيرها من التعليمات الروتينية، والركاب يبتسمون والصغار يمرحون لا أحد يتخيل سقوط الطائرة، الكل يفكر في وجهته ومطار الوصول، طبيعة البشر يتعاطفون مع مصائب الآخرين يتناسون امكانية وقوعهم في نفس المشاكل غير المتوقعة

أخذت الطائرة مسارها فوق السحاب، بدأت الحركة من جديد والحوارات والتنقلات، شعب يعشق التواصل الإجتماعي فوق السحاب.

بدأ يتأمل الجميع بنظرات رجل حنكته الأيام، الشاب على اليمين يبدو طالب جامعي والآخر ذو ملامح رياضية قد يكون لاعب محترف المرأة العجوز في طريقها لزيارة ابنها مجتمع مصغر في الطائرة بأفراحه وهمومه.

وفيما كان يقوم بعملية مسح شاملة لكافة ركاب الطائرة، فوجئ بوجه مألوف لديه، حاول أن يتذكره ولكن بدون جدوى، اختلطت كل الملفات ببعضها البعض الطفولة، الدراسة، الخدمة العسكرية الوظيفة وأخيرا النضال السياسي، الرجل الغريب يقبع في مكان ما في ذاكرته، رجل في خريف العمر ذو ملامح جليدية قاسية ونظرات ثاقبة مرعبة.

في لحظة زمنية فارقة عرفه، خرج ملفه من ظلام ذاكرته وظهر واقفا أمام ضوء الواقع، الضابط مروان بشحمه ولحمه وهيبته التي لم تتأثر بثقل السنين.

إنها فرصة تاريخية نادرة للانتقام من الضابط الذي كان يلاحقه كظله مرات كثيرة كان يقوم بتوقيفه في الطريق في المقهى أو من بيته مع ساعات الفجر الأولى.

كان مروان الضابط الأكثر شراسة وملاحقة لكل المعارضين السياسين مهمته الأساسية توقيف كل من يعارض نظام الحكم في البلاد، حتى من يفكرون في المعارضة يكونون أيضا تحت مراقبته.

الذكريات بدأت تقفز تباعا في ذهنه، في ليلة شتوية باردة فور عودته من ندوة سياسية، وجد مروان في انتظاره عند مدخل الحي الذي يسكنه، تم تكبيل يديه وادخاله السيارة بكل عنف، نحو مركز الإعتقال الذي أصبح بالنسبة إليه إقامة سياسية مفتوحة من أجل معرفة أفكاره ومخططاته، كانت التهم جاهزة دوما، محاولة قلب النظام، التواصل مع جهات خارجية وإهانة رموز الدولة.

مناداة راكب للمضيفة بصوت مرتفع، جعلته يعود إلى واقعه الحالي.

الرجل الذي استنطقه مرارا ودفع به عدة مرات أمام القضاء والسجون يجلس غير بعيد عنه، لابد أن يتكلم معه

ويستنطقه فوق السحاب، الآن لا يملك أي صلاحيات ولم يستطيع فعل شيء.

يدرك جيدا أنه سيجد صعوبة حتى في التنقل إليه أو الحديث معه ولكن نفسه تحدثه بالكثير، أمثال مروان كثيرون كانوا مجرد بيادق في يد الأنظمة الحاكمة المستبدة يحاربون كل من يطالب بالحريةو الديمقراطية.

بعد صراع داخلي كبير، استطاع أن يتحرر من كل رواسب الذكريات الحزينة وقرر أن يوقف عجلة التاريخ ولو في وقت متأخر من عمره، جمع ما تبقى له من قوة بدنية ونهض بصعوبة وتوجه بخطوات ثقيلة نحو غريمه من حسن حظه أن المكان المجاور له كان شاغرا، جلس واسترجع كل أنفاسه ثم اقترب أكثر من ماضيه المؤلم.

-أهلا السيد مروان يا لها من صدفة.

-مرحبا أخي أنا لا أعرفك من معي.

-معك معارض سياسي، هل نسيت ما فعلته بي

-وكيف لي أن أتذكرك؟ لقد تم إحالتي على التقاعد منذ سنوات، كنت موظف لدى الدولة ما قمت به يتعلق بالمهام

التي كانت موكلة لي الكثيرون تعاملت معهم طيلة هذه السنوات.

-ولكنك ظلمتني كثيرا وجعلت حياتي جحيم لا يطاق.

-كانت مهمتي القضاء على أعداء الوطن مهما كانت أطيافهم السياسية وأنت أمامي على قيد الحياة، يعني أنت محظوظ جدا.

-يبدو أنك ما زلت تعيش أوهام السلطة والاستبداد.

- تعاملت معك بكل رفق، لا تتجاوز حدودك أيها الرجل لا زلت تحت حماية السلطات، على الأرض أو في السماء طلبت المضيفة من الجميع أن يلتزموا أماكنهم تحسبا لهبوط الطائرة.

عاد المعارض السياسي إلى مقعده بكل هدوء، بالرغم أنه لم يحقق الكثير بحديثه مع الرجل، غير أنه قال ما كان يدور بذهنه، واستطاع أن يتحرر من أسئلة الماضي الحزين. في حين كان الضابط مروان يعدل مقعده ويسترجع أيضا ذكرياته لقد كان مقتنعا بأنه كان يقوم بواجبه اتجاه بلاده، وليس مستعد لسماع دروس في خريف العمر من معارض سياسي بائس.

شاهد عيان

ربما هي الصدفة التي جعلته يتواجد في الحديقة المقابلة للبنك حيث جلس من أجل اجراء مكالمة هاتفية.

فجأة سمع صراخ وإطلاق نار داخل البنك، خرج أربعة رجال دفعة واحدة يحملون حقائب جلدية ممتلئة، كانت هناك سيارة في انتظارهم انطلقت بسرعة وأحدثت ارتباكا كبيرا في الشارع.

وصل رجال الشرطة بعد دقائق قليلة وقاموا بتطويق المكان بسرعة في حين بدأت سيارة الإسعاف تنقل الجرحى من داخل البنك.

يبدو المشهد مشابها لتلك الأفلام السينمائية الأمريكية المتعلقة بالسطو على البنوك، تجمع الكثير من الناس حول المكان، لا وجود للشريط الأصفر الذي يمنع عادة الفضوليين من الاقتراب من مسرح الجريمة.

-هل شاهدت كل شيء؟ هل لديك معلومات تفيدنا بها؟

- أربع رجال خرجوا بسرعة من البنك يحملون معهم عدة حقائب وركبوا سيارة رمادية، غادرت المكان بسرعة مذهلة.

قام رجل الشرطة بتدوين كل شيء في دفتر صغير، ثم اقترب من الشاهد أكثر وبطريقة المفتش كولومبو.

-هل تمكنت من رؤية ملامحهم؟

-لا سيدي كانوا يضعون أقنعة على وجوههم ولديهم أجساد رياضية ضخمة.

-شكرا لك سيدي، اعطيني معلوماتك الشخصية قد نتصل بك لاحقا.

غادر مسرح الجريمة بكل سعادة، يعتبر نفسه مواطن صالح يساعد رجال الشرطة من أجل توقيف الأشرار.

بعد أيام من الحادثة المثيرة، وصله استدعاء للحضور إلى مقر الشرطة بصورة مستعجلة.

أغلق متجره على عجل وأسرع لتلبية نداء الوطن، يعتبر نفسه دوما مواطن صالح يهمه سلامة البلاد والعباد.

-مرحبا بك تفضل. اجلس، طلبنا حضورك سأعرض عليك بعض الصور ربما ستعرف أحدهم.

-لكن سيدي كانوا يضعون أقنعة كما أخبرت زميلك سابقا.

-أنت قلت أنهم يمتلكون أجسادً رياضية، ولهذا أحضرنا لك مجموعة مطابقة لهذه المواصفات.

تفحص الصور الموضوعة أمامه بكل اهتمام محاولا أن يكتشف أحدهم ولكن بدون جدوى.

-للأسف سيدي لا يمكنني أن أعرفهم كما أخبرتك كانوا يرتدون أقنعة تغطي وجوههم.

-لا تخف منهم كلهم مجرمون وحمايتك مضمونة.

-ليست قضية خوف، عن جد لا أعرفهم.

-إذن شكرا لك، سوف نتصل بك إذا كان هناك جديد يمكنك المغادرة.

خرج من المقر بسرعة، ندم على اليوم الذي أدلى فيه بشهادته يعني لو إلتزم الصمت، لكان الآن في أفضل حال.

صاحب القدرات الخارقة

راقٍ جديد وصل للمدينة، الدخول عنده يتطلب موعد مسبق، في كل صباح يتكرر نفس المشهد، طوابير لا تنتهي عند الرجل المنقذ صاحب القدرات الخارقة.

في المساء وقفت بجوار مدخل العمارة، لأشاهد خروج الراقي، تحت حماية فريق حراسته الخاص، رجل ملتحٍ طويل القامة يمشي بطريقة مثيرة للانتباه، يخيل للمرء أنه يطير ولا يسير، اقتربت أكثر منه، ملامحه ليست غريبة عني صورته مخزنة عندي منذ سنوات وفيما أنا أفكر في الرجل وجدته يقترب مني بسرعة.

-أهلا صديقي العزيز لم أكن أعرف أنك في الجوار بقيت أنظر إليه بكل دهشة ولم أتمكن من الرد عليه.

- أنا صديق الطفولة كنا نسكن في نفس الحي، عبد الحميد ابن الحلاق.

- أهلا مرحبا بك الآن فقط تذكرتك، لقد تغيرت ملامحك كثيرا.

ركب الراقي سيارته بسرعة واستدار نحوي.

-اعتذر منك. أنا مستعجل وسيكون لنا لقاء قريب صديقي.

عبد الحميد الطفل المشاغب أصبح راقٍ مشهورا، أي مسار ينتظر كل إنسان في حياته.

بعد أيام كنت جالسا في مقهى الحي، توقفت سيارة أمامي نزل منها عبد الحميد شخصيا.

-هل تسمح لي بالجلوس معك قليلا.

-طبعا تفضل مرحبا بك.

في عرض موجز لحياته السابقة، أخبرني بأنه ترك مقاعد الدراسة مبكرا، وانتقل إلى مدرسة قرآنية في بلد مجاور حيث استلهم منها كل قدراته في عوالم وكواليس الرقية الشرعية، وأن الله أعطاه لمسة خارقة تسمح له بشفاء الناس من أمراضهم الجسدية والنفسية.

-ولكن بصراحة يقولون بأنك تمارس الشعوذة وليس للأمر علاقة بالرقية الشرعية.

نظر نحوي بكل ثقة معبرا عن دهشته.

- أنهم شياطين الإنس والجن الذين يقولون ذالك. يريدون تعطيل خدماتي لأبناء الحي والبلد، وهناك أيضا بعض المشعوذين أزعجهم نشاطي الذي لا يتعارض مع الشرع.

كان الرجل يبدو واثقا مما يقوله، تركني مستأذنا لاستقبال ضيوفه من خارج الوطن. بعد أيام وفيما كنت بصدد الذهاب للعمل، فؤجئت بصراخ وفوضى في الحي الشرطة تحاصر منزل الراقي ووسائل الإعلام تملأ المكان سألت بعض الجيران، تم توقيف الراقي وأتباعه.

استعادت الضاحية هدوءها، لم يعد أحد يسأل أو يتكلم عن الراقي، وأصبح مجرد حدث عابر تم نسيانه تدريجيا.

صائد الأحلام

يدرك حاجة الناس للسكن، أنها فرصته الوحيدة للحصول على الثروة إنشاء وكالة عقارية ستكون المحطة الأولى والأخيرة لاصطياد الكثير من الأغبياء.

استأجر محل في مكان استراتيجي بالمدينة وقام بتوظيف فتاة جميلة وذات ملامح أوروبية، حتى تجهيز المكتب كان راقيا جدا، كل هذا يدخل في إطار الخطة العامة للاحتيال.

- سيدي الكثيرون اتصلوا بي و حددت معهم مواعيد.

- أنت سكرتيرة رائعة واصلي على نفس المنوال.

إعلانات مدفوعة في عدة مواقع تواصل الإجتماعي وكالة الثقة العقارية حيث يصبح الحلم حقيقة، تسهيلات في الدفع وعروض مذهلة.

لن تتفطن له مصالح الرقابة في البداية، انهم مشغولون بارتفاع أسعار البطاطا وندرة الزيت، إذا سارت خطته كما يريد سوف يجمع أموال خرافية في وقت قياسي، الفساد على كل الأصعدة، يعتبر نفسه ضحية نسق اجتماعي واقتصادي وعليه استرجاع هيبته بأي طريقة، ضحاياه هم

أيضا نتاج لواقع عام من الرداءة، الملائكة رحلت والشياطين في كل مكان.

مسكينة هذه السكرتيرة التي سوف تواجه قدرها المحتوم لقد جمع من المال ما يسمح له بالهروب من البلد بكل أريحية، حجز تذكرة سفر بدون عودة، سيرحل ليعيش حياة أخرى بعيدا عن المشاكل والهموم، المال يصنع السعادة بدون شك وبالأخص حين يكون لديك مخطط مسبق لما ستفعله.

في اليوم الموعود توجه نحو المطار وصل قبل الرحلة بوقت قصير توجه إلى مكتب العبور، جواز سفره لا غبار عليه، كان يتوقع إلتحاقه بقاعة الركوب بكل سلاسة ولكن فجأة جاءه رجال الشرطة بالزي المدني واقتادوه إلى مكتب معزول.

-لابد أن هناك خطأ أو تشابه أسماء أنا رجل أعمال معروف وليس لي مشكل مع أي جهة كانت.

-لقد سقطت أيها المحتال، أنت تحت رقابتنا منذ أشهر تستغل حاجة الناس للسكن وتستولي على أموالهم.

-يوجد قانون في البلاد ولا يمكنكم توقيفي بدون أدلة.

-اطمئن لدينا الكثير من الإثباتات والحجج الدامغة التي تثبت تورطك في النصب والإحتيال، مهمتنا القبض عليك والباقي ستتكفل به الجهات الأخرى، القضاء العادل ينتظرك.

عادل بن سالم

-لقد وصلتنا معلومات متطابقة من عدة مصادر تؤكد أن الرجل تجاوز كل الحدود في الفساد، لم يعد يهتم بتنفيذ التعليمات الحكومية في تلك المدينة الجنوبية المجاورة لدولة صديقة، هذا الملف فيه كل المعطيات التي قد تساعدك لمعرفة كل الجوانب الغامضة للرجل.

-اطمئن سيدي سوف أقوم بتحقيق شامل مع كل الأطراف المعنية.

-تعرف لدينا كل التقارير ذات الطابع السري و لكن أريد منك أن تعرف الحقائق من المواطنين والجمعيات وأعيان المدينة، لقد رتّبنا لك زيارة ضمن وفد سياحي لمدة أسبوع حتى لا يعرف أحد بقدومك لهذه المدينة الصحراوية المعزولة.

تدحرجت الطائرة على أرضية المطار البائس، تم استقبال الوفد السياحي بالأهازيج المختلفة، هذه المنطقة معزولة ومهمشة، ولكن تتمتع بمناظر طبيعية خلابة.

ترك الجميع في الفندق الوحيد بالمدينة، وأخذ يتجول عبر أزقّتها مباني بسيطة ومقرات حكومية متواضعة، دخل السوق الشعبي منتوجات مختلفة، ووجوه متعددة الألوان، أنها مدينة محاذية لدول الساحل، حيث تجد كل التجار القادمين من مختلف المدن الحدودية، يُعرف أن هذه المناطق لا يعترفون بالحدود السياسية بين الدول قبائل مختلطة منذ عقود من الزمن.

ما يهمهم قبل كل شيء هو الاستقرار الاجتماعي وتحقيق حاجياتهم الإقتصادية.

جلس في مقهى المدينة، طلب كوب شاي وصله بعد طول انتظار النادل لا يبالي بأحد، تبدو الوجوه الجالسة بقربه من مختلف أنحاء البلاد، أغلبهم شباب يبحثون عن فرصة عمل في الشركات البترولية المتواجدة بالمنطقة.

حين دفع ما عليه، اقترب أكثر من صاحب المقهى

-ممكن أسألك عن شخص في هذه المدينة؟

-تفضل أنا من السكان القدامى أعرفهم جميعا.

– ما رأيك في السيد عادل بن سالم؟

-إنه أفضل موظف حكومي تم إرساله لنا من العاصمة منذ سنوات عرفت المنطقة منذ قدومه تطورا وازدهارا على كل الأصعدة، آخرها إنجاز طريق هام فك العزلة عن الكثير من القرى المهمشة.

غادر المكان بسرعة متجها إلى الفندق، يبدو أن الرجل سمعته طيبة، إنجازاته تتحدث عنه، في طريق عودته وجد بعض الشباب يلتفون حول إمام المسجد يطرحون عليه بعض الأسئلة، تريث قليلا حتى انفضّ من حوله الجميع واقترب منه، بعد التحية السريعة سأله عن عادل بن سالم.

- لا تحدثني عنه، لا يحضر إلى المسجد إلا في الأعياد والمناسبات.

- ولكن كيف تراه كموظف حكومي؟ مكلف بتطوير وتسيير هذه المدينة.

- في الحقيقة ليس لدي دراية بعمله ولكن الكثير من المواطنين يشتكون من سوء معاملته، إنه متكبر ومتعجرف ولا يهتم بمشاكل البسطاء والفقراء.

غادر المكان متوجها بسرعة إلى الفندق، عادل بن سالم يتأرجح بين الملائكة والشياطين، لجنة التحقيق التي أرسلت من طرف السلطات المركزية تؤكد على وجود أخطاء في التسييروعرقلة برنامج الإصلاح الذي وضعته الحكومة لترقية وتطوير المدن الصحراوية.

ولكن ما يقوله الناس هنا عنه يختلف من شخص لآخر، يعني الرجل اللغز لم تتمكن حتى السلطات العليا من تنحيته مثل ما فعلوا مع الآخرين، زاد فضوله أكثر لمقابلته ومعرفته عن قرب.

توجه إلى المبنى الحكومي بدون سابق موعد، سوف يقدم نفسه كمغترب، يرغب في إنجاز مشروع سياحي كبير ستكون فرصة للتعرف عليه ومحاولة فك شفرته المذهلة.

وجد صخب كبير عند المدخل، هل هم مواطنون متذمرون؟ أو تجمع غير معلن، إقترب من مركز الحراسة وسأل عن الرجل الذي سكن عقله منذ أيام وطلب مقابلته لأمر طارئ.

-يبدو أنك لست من هذه البلدة ولا تعرف ماوقع، عادل بن سالم مات منذ دقائق في حادث مرور، حين كان يقوم بزيارة تفقدية لمدرسة ابتدائية، الله يرحمه.

خبر مفاجئ وحزين، الرجل الذي شغل كيانه منذ أيام انتقل إلى الرفيق الأعلى، رحل وأخذ معه كل أسراره.

غنيمة متواضعة جدا

يجلس في وسط المدينة، عند مفترق الطرق، حيث يكون بإمكانه مراقبة الوضع العام بكل هدوء.

يتفحص المارة بإمعان من أجل البحث عن الضحية مهنته غير الشرعية سرقة حاجيات الناس وأغراضهم،يركز دائما على الهواتف النقالة والأغراض الثمينة.

فجأة أثارت انتباهه عجوز تخرج هاتفها النقال، إنها ضحية سهلة في بداية يوم ممل، اقترب منها بكل هدوء، في لمح البصر خطف منها الهاتف وأسرع بالهروب، أخذت تصرخ وتطلب مساعدة بعض المارة ولكن لم يستجيب لها أحد، جلست قرب الحائط تبكي ثم أخذت تقصف الجميع.

-لم تعد هناك نخوة في هذه البلاد، شباب بدون قيم وبدون أخلاق.

اقترب منها شيخ محاولا إنقاذ من يمكن إنقاذه من شرف القبيلة.

-اذهبي إلى مركز الشرطة القريب من هنا، يجب عليك إيداع الشكوى.

في هذه الأثناء كان السارق يقف في شارع جانبي يتفحص غنيمته، هاتف متواضع جدا، لم يكن يستحق تلك المجازفة، في لحظة استقيظ ضميره النائم منذ سنوات قرر إعادته إلى العجوز، أكيد إنها ما زالت تندب حظها العاثر في نفس المكان.

عاد بكل هدوء وأخذ يراقبها عن بعد، نهضت متوجهة إلى بيتها بكل حزن، لما إبتعدت كثيرا ودخلت شارع آخر لحق بها بسرعة.

-سيدتي تفضّلي هاتفك لقد تمكنت من استعادته من السارق.

-شكرا ابني حفظك الله، الحمد لله، أُدعو الله أن يحفظك من كل سوء.

في انتظار صاحب القرار

-لا يمكنني أن أفعل لك شيء.

- لكن الطريق مقطوع منذ الصباح ولابد من تدخل مصالحكم من أجل أبعاد الحمار الميت.

-انتظر قليلا حتى يصل صاحب القرار، سيأتي قريبا.

-كل مصالح القرية معطلة، إنه الطريق الوحيد الذي يوصلنا للمدينة.

-لا يمكنني أن أفعل لك شيئا هذا يتجاوز صلاحياتي.

جلس في قاعة الإنتظار، على أمل وصول صاحب القرار فعلا كل شيء معطل في هذه البلاد.

وفجأة دخل صاحب القرار إلى مكتبه، رجل ذو ملامح قاسية ونظرات متعالية، يبدو أنه وضع في هذا المنصب من أجل ترهيب الناس وتعكير الأجواء.

خرجت السكرتيرة وطلبت صاحب قضية الحمار.

-حسب ما سمعت هناك حمار ميت مرمي في الطريق المؤدي إلى قريتكم.

-فعلا سيدي، تصور أنني جئت بصعوبة إلى هنا، لأنه لا يمكن مرور السيارات والشاحنات وكل مصالحنا معطلة عبر هذا الطريق ينقل الفلاحون منتوجهم إلى سوق المدينة وكل المواد الغذائية الواردة للقرية تصل عبره أيضا.

نهض صاحب القرار من مكتبه واستعرض قوامه وهندامه ثم عادو جلس وانتفض في وجه الرجل.

-و لكن من قتل الحمار؟

-لا أدري وجدناه في الصباح في منتصف الطريق، ولكن سيدي أنه حيوان مهما طال عمره سيموت، حياة أهل القرية أهم من كل شيء سيدي.

-قد يكون الفاعل من أعداء الوطن ويريد إثارة الشغب والفوضى سوف نقوم بتحقيق سريع من أجل القبض على من تسول له نفسه المساس باستقرار البلاد والعباد.

-لكم واسع النظر سيدي في كل الإجراءات ولكن أهل القرية يطالبون بإبعاد الحمار وفتح الطريق وتسهيل المرور.

انتفض صاحب القرار وصرخ بأعلى صوته.

-لا تتجاوز حدودك أيها المواطن، الحمار سيبقى في مكانه إلى غاية إتمام إجراءات التحقيق، يبدو أنك لا تعرف شيء اسمه مسرح الجريمة.

-لايهمني لا مسرح ولا سينما سيدي، نطالب بفتح الطريق لا غير، نهض صاحب القرار بسرعة من مكتبه وفتح الباب صارخا فيوجه المواطن.

-أخرج من مكتبي حتى لاأضطر إلى الاتّصال بمصالح الشرطة ما تقوم به حاليا يعتبر تعدي على موظف أثناء تأدية مهامه.

خرج الرجل بسرعة مخافة أن يجد نفسه في قفص الإتهام، في آخر المطاف صاحب القرار لديه القدرة على تجميد قضية الحمار والشروع في قضية جديدة تتعلق بهيبة الدولة.

في حدود ما يسمح به القانون

قاعة الانتظار تعج بطالبي فرصة العمل الوحيدة التي أعلن عنها عبر الصحف، في هذه الأيام أصبحت البطالة شبحا مخيفا، الوظيفة أضحت طوق انقاذ يبحث عنه الجميع.

مكلّف بالإتصال، يبدو منصبا في متناوله وما أسهل أن يتواصل مع الآخرين زيادة على أنه يمتلك مؤهل ملائم.

ويستطيع أن يقنع نفسه بوجهه التلفزيوني وصوته الإذاعي.

قام بعملية مسح شاملة لمنافسيه في قاعة الانتظار وجوه شابة تطمح للحصول على منصب واحد، الفتيات في قمة الأناقة باعتبار أن الجمال والحضور المثير قد يزيد من فرص نجاحهن، أما الرجال فيركز غالبيتهم على الهندام الجذاب، وفي وسط هذا الاستعراض ضاعت الكفاءات والأفكار.

سوف يعتمد على قدراته الفكرية وتجربته في عالم الاتّصال من أجل إقناع لجنة الاختيار بكفاءته وأحقيته بالمنصب الموعود.

سيقوم بمراجعة ملفه تحسبا لكل طارىء، كل الوثائق المطلوبة متوفرة، ما أثار انتباهه جملة موجودة في آخر كل ورقة ادارية، سلمت للمعني لاستعمالها في حدود ما يسمح به القانون.

لا يدري ان كانت نفس الجملة توضع في الوثائق المتعلقة بالقروض البنكية التي يستفيد منها كبار رجال الأعمال يبدو أن القانون دوما يلاحق المواطن المغلوب على أمره.

بدأت لجنة الانتقاء في استقبال المترشحين، وكلما خرج واحد يلتف حوله البقية لمعرفة خبايا الأسئلة وفهم كل ما يدور داخل المكتب المغلق.

خرجت مترشحة فائقة الجمال وعلامات السعادة بادية على ملامحها، قد تكون وفقت في استعراض قدراتها الأنثوية إنه زمن المرأة بامتياز في هذا البلد فهي تكتسح كل القطاعات، ولم يعد ثمة أي طابوهات أو عراقيل اجتماعية.

وأخيرا جاء دوره، ودخل بكل ثقة وبخطوات مميزة فهو يدرك أن اللجنة تركز على كل شيء، رحبت به سيدة تجلس في منتصف المكتب يحيط بها رجلان، بدو كأنهما حارسان شخصيان لها بسبب نظرتهما الثاقبة المثيرة.

_ مرحبا ابني تفضل اجلس وأخبرنا عن أسباب رغبتك في الانضمام إلى فريق عملنا؟

استغرب لهذه اللفتة الطيبة والتي تبعث بشيء من التفاؤل.

استطاع أن يجيب على كل الأسئلة بكل أريحية واقتنع أكثر بحظوظه للظفر بالمنصب، وخاصة حين تم توديعه بابتسامة عريضة من طرف نفس السيدة التي فرحت به.

خرج من المبنى الإداري بمعنويات مرتفعة وكله ثقة بالغد الواعد، إنه عهد جديد بالبلاد، يرتكز على الكفاءات وتوظيف الوجوه الجديدة التي تضمن التغيير والازدهار.

لم يصله أي رد حول نتيجة المسابقة بعد مرور أكثر من شهر، قرر زيارتهم من أجل معرفة مصيره، دخل بكل حيوية كعادته وتم استقباله من طرف المكلف بالتوظيف شخصيا الذي سلمه ظرفا مغلقا.

_ لقد تأخرت كثيرا، فقد استلم كل من شاركوا النتيجة ستجد كل شيء في هذا الظرف.

اتجه بسرعة إلى مقهى مجاور، طلب فنجان قهوة وتأمل الظرف بكل تركيز، هل يحمل أنباءً سارة، أم مجرد رد شكلي بالرفض؟

فتحه بكل لهفة ليفاجأ برسالة إدارية جافة من نوع يؤسفنا، والبقية معروفة، ندم كثيرا لأنه رفع من سقف توقعاته وتأييده لكل الشعارات التي يسمعها يوميا في نشرة الأخبار الرسمية، لم يتغير شيء نفس الممارسات البيروقراطية والمحاباة.

الطريف أن الرسالة الرسمية المسلمة له ليس فيها العبارة التي تعود على قراءتها في الوثائق المكونة للملف، سلمت للمعني لاستعمالها في حدود ما يسمح به القانون.

ليس هناك أي قانون، ممارسات فردية تقصي الشباب وتعمق القطيعة بين الحاكم والمحكوم.

تأمل المبنى الإداري، فكر في العودة إلى المكلف بالتوظيف والقيام بثورة عنيفة ضد الجميع ثم سرعان ما تحكم في أعصابه وقرر البحث عن فرصة عمل لدى جهات أخرى.

خرج الموظفون من المبنى، نهاية الدوام وتفاجأ برؤية الفتاة الحسناء التي كانت معه في قاعة الانتظار يوم الانتقاء، يبدو أنها ظفرت بالمنصب بكل سهولة، فعلا انه زمن الرداءة، غادر المقهى بسرعة، نهاية دوامه الذي لم يفعل فيه شيئا، في انتظار غد آخر قد يكون فيه جديد.

قيد التأسيس

تسنى له أن يجد مكانا في الصف الأول، لتغطية لقاء حزبي، يتعلق الأمر بندوة صحفية ذات طابع سياسي.

بعد دقائق وصل الزعيم برفقة الوفد المرافق له جمهور غفير تغص به القاعة، يبدو أن الحزب يمتلك قاعدة نضالية كبيرة.

رحب أحدهم بكل الحاضرين وعبر عن ارتياحه لتجند الجميع لإيجاد مكانة للحزب الناشىء في الساحة السياسية، ثم أعطى الكلمة للزعيم الذي كان يحمل في جعبته الكثير.

- لقد قررنا القيام بهذه الندوة من أجل التعريف بالخطوط العريضة لحزبنا الجديد، نريد انقاذ البلاد والعباد وضمان مكانة أفضل لبلادنا بين الأمم.

بعد مداخلة مطولة، استعرض فيها الرجل واقع وتاريخ البلاد من العهد الفنيقي إلى اليوم، تم فسح المجال لرجال الصحافة.

-سيدي مع كل التقدير لما تقولونه غير أنكم تعرفون جيدا أن قواعد اللعب مغلقة ولا يمكنكم الوصول للحكم هل لديكم أوراق جديدة تسمح لكم بالتموقع في الساحة السياسية المزدحمة والملتهبة؟

اعتدل الزعيم في جلسته، نظر إلى سقف القاعة ثم عبث بأوراقه من جديد ونظر نحو الصحفي بكل برودة.

-لسنا في مباراة كرة قدم، حتى تحدثني عن قواعد اللعب والتموقع، إنه مصير الوطن الذي أعطانا كل شيء و ما زلنا لم نقدم له حتى القليل، حزبنا الجديد يمتلك رؤية واضحة وخطة عمل كبيرة، ستجعل بلادنا في مصاف الدول المتقدمة.

في الحقيقة زعيم الحزب كان يصول و يجول ويجيب على كل الأسئلة بطريقة احترافية مذهلة، يبدو أنه سياسي مخضرم عاش مع كل الأنظمة الحاكمة والشعوب المحكومة.

وفجأة دخل رجال الشرطة، حاصروا الجميع بما فيها المدخل والمنصة التي تسببت في صداع الجميع.

-ليس لديك رخصة لعقد هذا الاجتماع، قال قائد فرقة التدخل.

-نحن حزب قيد التأسيس ومن حقنا أن نقدم برنامجنا للشعب.

-يا أخي هناك إجراءات قانونية يجب احترامها، وأنت سيد العارفين.

تم اقتياد الزعيم إلى مركز شرطة مجاور، وغادر الجميع القاعة، لاأحد يصدق ما وقع، زعيم الحزب الذي يعد بالتغيير، لا يعرف القوانين وأن الحزب الموعود مجرد جنين سياسي لم يخرج للوجود، مجرد حزب قيد التأسيس.

كوفيد19

عالم غريب، فيروس مجهول يهدد حياة البشر، وضع كمامته وخرج للعمل، يوم كوفيدي جديد، لا تقترب من أحد. حافظ على مسافة الأمان، لا تصافح.

تنبيهات في كل مكان، على الجدران وفي المحلات والمقاهي وعبر كل وسائل النقل، فعلا ما كنا نشاهده في أفلام الخيال نعيشه في الواقع.

لمح عن بعد صديق الطفولة، هل يستقبله بالأحضان؟ ممكن يكون مصاب، أحسن حل هو تغيير الوجهة، تحول للشارع الآخر المقابل.

الكوفيد جعل الحياة بدون حياة، تحذيرات في كل مكان، ما كان عادي منذ سنوات أصبح الآن حلما صعب المنال.

وصل إلى المبنى الإداري، صعد بسرعة إلى الطابق الثاني التعليمات المتعلقة بمكافحة الكوفيد منتشرة في كل مكان تحولت كل المصالح إلى مايشبه قاعة العمليات، أخبار

الوفيات أضحت حدثا يوميا، والتعزيات تتهاطل من كل مكان.

جلس يتصفح البريد الوارد، لم يعد كما كان في السابق انعدام تام للملتقيات والأسفار، مراسلات قليلة، وأغلبها تعليمات وتوجيهات من المصالح المركزية، من أجل محاصرة الوباء القاتل.

دخلت زميلته في المصلحة تبكي وتصرخ

-لقد مات عبد السلام ليلة أمس بسبب الفيروس اللعين.

لم يصدق ما سمعه، ارتمى على مقعده حزينا، صامتا يا له من خبر.

الموظف المثالي يرحل بهذه الطريقة، لا يستوعب ما حدث ما هي إلا لحظات حتى أصبح المبنى الإداري قاعة عزاء كبيرة.

-ما يحيرني أنه كان الوحيد الذي يبالغ في احتياطات الوقاية من كورونا لا يصافح أحد، ويضع كمامة مزدوجة ويعقم يديه كل دقيقة.

-إنه القدر والموت محدد مسبقا والأمراض هي أسباب ندعو له بالرحمة.

عاد إلى بيته حزينا مثقلا بكل مآسي الحياة، جلس يتابع الأخبار بدون تركيز، الموت أضحى العنوان الرئيسي، الكوفيد يضرب بقوة والمستشفيات ممتلئة، وهناك وفيات أخرى سببها عدم توفر الأوكسجين، فعلا إنها كارثة بكل المقاييس.

-عشاؤك جاهز إبني، لقد تأخرت كثيرا اليوم.

أصبح يتفادى الاقتراب من والدته مخافة أن ينقل لها الفيروس اللعين. كل الأحبة يبتعدون ويخافون من بعض صعب أن تكون سبب في وفاة من تحب.

يضرب في كل أنحاء العالم، لا يوجد مكان يمكن الفرار إليه، نظرية المؤامرة تنتشر عبر كل وسائل الإعلام، أي نوع من البشر الذي يصنع فيروسا في مخبر ليقتل الملايين عبر كل القارات، هل الصراع بين القوى العظمى يؤدي إلى هذا الدمار الشامل؟

النعاس يداعب أجفانه وليس أمامه سوى الاستسلام لأحلامه من أجل غد أفضل، العودة إلى ما قبل مرحلة كورونا، حلما بعيد المنال.

ليلة القبض على بائع الخبز

- أنتظرك على الساعة العاشرة ليلا غدا.

حملت الخبز وسارعت بمغادرة المكان على عجل.

وصل هذه القرية منذ ثلاث أشهر، قادما من مدينته الشمالية المحاذية للبحر، لحد الساعة لم يتأقلم مع واقعه الجديد يعيش في مكان معزول عن العالم، سكان القرية يعرفون بعضهم البعض، والغرباء يعدون على الأصابع صاحب المقهى الوحيد بالقرية ونادله، وعمال المخبزة الوحيدة أيضا، والصيدلي.

الوقت يمضي برتابة، والأيام تتوالى بدون جديد باستثناء العودة الأسبوعية لبعض أبناء القرية الذين يعملون بالمدن المجاورة، حتى تغطية الهاتف النقال منعدمة.

غالبا ما يبيع الخبز في الفترة الصباحية، بالرغم أنه يتعامل مع كل من يقصدون المحل، إلا أنه لاحظ بأنهم لا يتكلمون كثيرا ولا يحبذون الغرباء، فقط هم مضطرين لاقتناء الخبز من عنده.

كانت الفتاة التي تقصده لاقتناء الخبز، البنت الوحيدة في البيت، والدها ترك العائلة منذ سنوات وغادر إلى المجهول، لا أحد يعرف مصيره تعيش مع أمها في ظروف صعبة، يساعد هم بعض المحسنين من حين إلى آخر.

بمرور الأيام نشأت بينهما قصة حب، في الحقيقة هذا النوع من المشاعر مرفوض في القرية المحافظة، لا أحد يمكنه أن يتجاوز الخطوط الحمراء، إنه حب تحت المراقبة المستمرة.

كانت أمسية شتوية باردة، اليوم هي وحدها، والدتها عند أخوالها الذين يسكنون في المدينة، جلست قرب النافذة تترقب مجيء فارس أحلامها، كانت واضحة معه من البداية، لقاؤهما سيكون فرصة للحديث عن مستقبل علاقتهما التي ستتوج بالزواج كما وعدها.

بعد دقائق وصل العاشق الوحيد في القرية، دخل إلى المنزل بكل سهولة، وكانت في استقباله بكل فرح.

-لقد أعددت لك الشاي الذي تُحبه، تفضل.

-شكرا على حسن الضيافة عزيزتي.

بمجرد ما بدأ يعبر عن أفكاره وأحلامه، حتى سمع أصواتا خارج المنزل وضجيج غير مألوف.

نهضت بسرعة وأطلت من النافذة لتتفاجئ بجموع هائلة تقترب، لم تصدق ما تراه عيناها.

-لقد اكتشفوا أمرنا يبدو أنك كنت تحت الرقابة.

-لا تخافي لن نفتح الباب وسوف يتدخل العقلاء منهم لإنقاذنا.

في لمح البصر رحلت القرية كلها إلى المنزل المحاصر، رجال من كل الأعمار يصرخون ويعبرون عن غضبهم، إنها ليلة القبض على بائع الخبز، الركود التام الذي يعيشه الجميع جعل من هذا الحدث مناسبة كبيرة للقضاء على الروتين والملل.

-سيدفع الثمن الصعلوك، لقد غدر بنا و ليس له مكان بيننا.

-إنها جريمة كبيرة في حقنا لن يخرج سالما من هنا ومن استقبلته يجب أن تطرد هي وأمها.

داخل المنزل كانت الفتاة تبكي لم تكن تعرف أن أول لقاء في حياتها سوف يزلزل القرية الهادئة.

الشاب بقي يطل من النافذة بكل خوف، لم يكن يدري أن نهايته ستكون على يد أشخاص متهورين، لكنه أدرك أنه غامر كثيرا بالقدوم من أجل لقاء الفتاة التي أحبها بصدق.

وصل الصيدلي ليستطلع الأمر، سارع بالعودة إلى محله واتصل بالشرطة الأقرب من أجل إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

-عليك أن تحاول تهدئة الأمور، نحن قادمون.

توجه الصيدلي بسرعة إلى بؤرة التوتر محاولا ربح المزيد من الوقت في انتظار وصولهم.

-لا داعي للتصعيد وسنجد حلا بإذن الله.

-لا تتدخل في الموضوع أنت غريب مثله وتحاول إنقاذه ندرك جيدا ما ترمي إليه، رد عليه أحدهم بكل غضب.

في هذه الأثناء كانت الأجواء داخل المنزل متوترة وبائع الخبز يحاول طمأنة الفتاة، في حين أن الخوف يسكنه ولا يدري أي مستقبل ينتظر الحب الذي لم ينطلق بعد.

- يجب أن نحرق المنزل بمن فيه، حتى يكونوا عبرة لكل من لا يحترم تقاليدنا وأخلاقنا، قال شاب متهور.

- لا ليس إلى هذا الحد أخي، هم بشر، الله وحده يحاسب عباده.

رد عليه شيخ يراقب الوضع بكل قلق.

وفجأة وصلت ثلاث سيارات إلى المكان، نزل رجال الشرطة، أبعدوا كل الناس عن البيت.

فرح الصيدلي بقدومهم، وأخيرا سوف تنتهي هذه الليلة الساخنة على خير وينفض الجميع.

بعد دقائق تم اقتياد العاشقين إلى سيارة الشرطة تحت صراخ وفوضى المدافعين عن شرف القبيلة والذين تجمعوا لمشاهدة حدث نادر الوقوع في هذه المنطقة المعزولة.

بعد أيام عادت القرية إلى روتينها المعتاد وغادر كل الغرباء بسرعة مخافة أي انتقام من أهلها، لا خبز ولا دواء ولا فنجان قهوة.

ما بعد الخطوط الحمراء

- لقد فقد عقله وتخلى عن واجب التحفظ وأصبح يتحدى الجميع عبر الفضائيات ومواقع التواصل الاجتماعي.

-وهل طلبتم منه التوقف والتزام الصمت؟ وتذكيره بواجب التحفظ.

- نعم سيدي عدة مرات، حتى أنني زرته منذ يومين في بيته وطلبت منه عدم إفساد الموعد الانتخابي القادم.

ولكنه رفض مدعيا أن حرية التعبير حق دستوري.

- لقد تجاوز كل الخطوط الحمراء وما بعد الحمراء، لن نقوم بإيقافه عبثيا وخاصة أن كل أنظار العالم منصبة نحونا هذه الأيام، أبحث في ماضيه ستجد أخطاءه التي تغافلنا عنها سابقا.

حركة مرور كبيرة اليوم بالعاصمة، لابد أن هناك خرجة رسمية لبعض الوزراء، أو زيارة لوفد أجنبي، تذكر تلك الأيام التي كانت تغلق الطرقات من أجله، حين كان في هرم السلطة ولكن الآن فقد كل بريقه وتاريخه السياسي

الكبير أضحى اليوم مجرد رجل سياسة متقاعد لا أحد يسأل عنه، طريقة أبعاده من الحكومة لم يتقبلها لحد الساعة، كان في زيارة تفقدية إلى مدينة جنوبية مهمشة رفقة الوفد الوزاري، يعطي التعليمات ويحاول فهم الهوة الكبيرة بين الشمال والجنوب على كل الأصعدة، ليس هناك أي تنمية في هذه المناطق، طيبتهم جعلت لا أحد يتذكرهم الصورة النمطية عن أهل الجنوب لم تتغير منذ سنوات بترول رمال عقارب تمور وحرارة مرتفعة في فصل الصيف يعرفونهم فقط في موسم الإنتخابات.

فجأة وصلته مكالمة خاصة مستعجلة، ابتعد عن الوفد المرافق له قليلا إنه صديقه.

-أهلا صديقي لا أدري إن كنت تعرف، ولكن حسب ما أقرأه على شريط الأخبار المختصرة تمت إقالتك من منصبك الوزاري، يؤسفني أنني أنقل لك هذا الخبر.

لم يتمالك نفسه من هول ما سمع ولكنه استطاع أن يرد مخترعا كذبة مستعجلة.

- أعرف صديقي، نتواصل لاحقا.

منذ تلك الحادثة غير المتوقعة، وضع نفسه في خدمة أحزاب المعارضة ومنظمات حقوق الإنسان،الإنتقام منهم كان هدفه الأساسي، كشف الحقائق وزيفهم وأكاذيبهم، عبر كل الوسائل المتاحة، القنوات الفضائية ومواقع التواصل الإجتماعي.

يعرف الكثير عنهم ولكنه لا يتسرع في كشف كل الأوراق لأنه يدرك أنهم سيفعلون كل شيء من أجل إسكاته.

زيارة المستشار له منذ أيام تدل على أنه تحت مراقبتهم الدائمة، ولكن لن يتراجع مهما كانت الضغوطات فليسقط المعبد فوق الجميع.

وصل إلى مقر الجريدة ودخل إلى قاعة المحاضرات باعتباره مدعوا لتقديم مداخلة هامة حول واقع وآفاق النهضة الاقتصادية الشاملة.

وجوه كثيرة تستمع إليه بكل اهتمام وهو يستعرض بكل واقعية مراحل الإصلاحات الإقتصادية المختلفة وأسباب ضعف الاستثمار الأجنبي.

بمجرد خروجه من القاعة حتى فوجئ، بوجوه أخرى تطلب منه مرافقتهم، أنه توقيف على المباشر بدون مقدمات.

- أخيرا تخلصنا منه سيدي وبطريقة قانونية؟

-وكيف تسنى لك ذلك؟

- لقد عدت إلى سنواته الأولى في التسيير، وجدت الكثير من الكوارث وعليه أن يبرر أمام الجهات المختصة القرارات التي اتّخذها.

- كان بإمكانه أن يعيش في الظل صامتا ومرتاحا ولكنه وضع نفسه في ورطة، وكما تعرف المصلحة العليا للبلاد قبل كل شيء.

- أعرف سيدي حفظك الله سيدي وجعلك دوما ذخرا لهذا الوطن وحاجزا منيعا أمام أعداء الداخل والخارج.

محاولة انتحارية

نهض مبكرا على غير عادته، اليوم سيتم الإعلان عن قائمة السكنات، سنوات من الانتظار، معاناة متواصلة يعيش في غرفة متهالكة بمنطقة مهمشة، مع عائلته التي يتزايد عددها كل سنة.

نفد صبره ولم يعد لديه القدرة على تحمل كل الأزمات يعمل لدى المقاولات الخاصة بصورة متقطعة، والأمراض المختلفة تزوره من حين لآخر كل ما يشفى أحد من أفراد الأسرة، يسقط آخر بمرض جديد، فعلا أصبح مقتنعا أن المرض والفقر أخطر الأسباب المؤدية إلى الموت أو الانتحار.

اليوم سيدخل التاريخ من بابه الضيق، إذ وجد اسمه في القائمة سيكون أسعد خبر وفي حالة العكس سوف يحتج بطريقته الخاصة.

انتحار استعراضي في المبنى الحكومي الذي تلاعب به سنوات طويلة، سيحرق جسده ونفسه أمام الجميع انتقاما منهم، الموت بالنسبة له راحة من عذاب الدنيا يعتبر نفسه ميتا منذ سنوات.

في ليلة الأمس استطاع أن يملأ قنينة بنزين من المحطة أقنع البائع بأن سيارته معطلة على أطراف المدينة، بالرغم من التعليمات الحكومية التي تمنع ذالك، لأن ظاهرة الاحتجاج عن طريق صب البنزين على الجسد أصبحت مألوفة جدا، الكثيرون يفارقون الحياة، ولكن المتسببون في هذه المآسي لايفارقون مناصبهم.

وأخيرا وصل إلى المبنى الإداري حيث وجد الكثيرون يتزاحمون من أجل الإطلاع على القائمة التي طال انتظارها.

اقترب أكثر واستطاع أن يجد اسمه في بداية القائمة لم يتمالك نفسه من الفرحة وأخيرا ابتسمت له الدنيا، أعاد قراء تها من جديد وتأكد أكثر حين وجد تاريخ ميلاده وكل معلوماته الشخصية.

تغيرت كل المعطيات وأضحت محاولته الانتحارية ماضٍ لن يعود إليه، الآن سوف يسارع بالعودة إلى أهله ليخبرهم بالمفاجأة الكبرى الحصول على سكن يلم شملهم ويتيح لهم أن يعيشوا في كرامة وسعادة.

نزوة غير عابرة

ظهرت على مسرح حياته امرأة من الزمن الجميل تسمع عبد الحليم حافظ وأم كلثوم، أعادته إلى بداياته في عوالم الرومانسية.

عاد قلبه ليشتغل من جديد بعد سبات طويل، قطار العمر أوصله إلى محطات بعيدة، المتابعة المستمرة لأبنائه و بناته جعلته لا يشعر بمرور السنوات، لم تعد زوجته تهتم به، سخرت كل وقتها لتربية الأبناء ومرافقتهم في دراستهم وحياتهم اليومية، أصبحت تهتم بفنون الطبخ والمسلسلات التلفزيونية وحضور المناسبات العائلية.

دخوله للبيت مثل خروجه لا أحد يسأل عنه يتوافدون عليه حين يتقاضى أجرته الشهرية، الكل يبحث عن المال لاقتناء حاجياته.

تعرف عليها في أمسية أدبية، كانت المرأة الوحيدة في القاعة التي أثارت اهتمامه بجمالها وحضورها حيث كانت لها مداخلة حول واقع القصة والرواية، واضح أنها ناقدة نادرة في زمن الماديات والمظاهر الزائفة.

عبر لها عن إعجابه بثقافتها الواسعة، وبمرور الأيام سقط في غرامها وأصبحت حبه الجديد الذي اشعل نيران قلبه الراكدة.

فعلا الحب الحقيقي غالبا ما يظهر في خريف العمر كان يتصور أن قلبه متقاعد منذ زمان عن عوالم الرومانسية ولكن مع فارسة ذكرياته تغير الوضع، هذه المرأة جعلت لحياته معنى جديد.

في يوم ربيعي مشرق كان اللقاء في نادي الجامعة للأدب والفكر، وصل قبلها حتى يترقب وصولها بكل شغف فلحظات انتظار من نحب في حد ذاتها تزيد اللهفة والشوق وخاصة أنه أصبح يعيش على حضورها ويعيش أكثر في غيابها من أجل موعد جديد.

- أعترف لك بأنك غيرت حياتي، ولكن هذا الحب الكبير يجب أن ينتهي بالزواج.

- طبعا حبيبتي ولكن أعطيني قليلا من الوقت تعرفين جيدا ظروفي العائلية وصعوبة اتخاذ هذا القرار حاليا.

- لا أريد أن أكون نزوة عابرة لك، أريدك أن تعيش معي إلى الأبد.

- طبعا أعدك بحياة كلها سعادة ووفاء أنت قمري الذي ظهر بعد غياب طويل.

عاد في المساء إلى بيته، الأفكار تتصارع في ذهنه، صراع بين قلبه وعقله، زوجته تستقبله بكل فرح وتحضر له العشاء، لم تتغير منذ سنوات، لا يدري كيف يخبرها بقراره الكبير؟

الذي سيكون حتما سابقة في تاريخ العائلة، كانوا ينتظرون زواج أبناءه و يريد أن يصنع مفاجأة قد تقلب كل الموازين، هل هو حب حقيقي؟ أم نزوة عابرة في خريف العمر.

نهض في منتصف الليل والقلق ما زال يساوره، صراع داخلي يسكنه، يتعين عليه اتخاذ قرار حاسم في أقرب وقت.

طلب لقاءها، هاتفيا في اليوم الموالي، وصلت قبله إلى المكان بنظاراتها المميزة ولباسها الأنيق، بادرته بإبتسامة كلها شوق وحنين، ولكنه كان يتوجه نحوها يحمل بين طياته قرار غير متوقع.

-لا يمكنني أن أبقى معك، يمكنك اعتبار علاقتنا منتهية من الآن لقد فكرت كثيرا، لابد من العودة الى الواقع.

ارتسمت على وجهها كل علامات الحزن والغضب والمفاجأة وخاصة أنه غادر المكان بسرعة بدون أن يترك لها المجال للحديث معه.

وافد إلى البرلمان

وصل إلى مبنى البرلمان بكل لهفة، وأخيرا تحقّق حلمه نائب في العهدة الجديدة، من مدينة داخلية مسحوقة إلى صخب العاصمة ودواليب السياسة، هنا تصنع كل القرارات وتعلن حكومات وتسقط أخرى.

وجد الكثيرون مثله سعداء بتحقق أحلامهم وكأنه الدخول المدرسي والإبتسامة تعلو كل الوجوه، أخيرا أصبحت الأبواب مفتوحة أمام الجميع، الحزب الحاكم رحل بعض الوجوه المخضرمة ما زالت تقاوم التغيير أنها مرحلة جديدة في البلاد سمحت بصعود الكثير من الممثلون إلى المسرح السياسي أكيد هناك مفاجآت خلف الستار

ولكن في كل الأحوال أصبحت الجماهير أكثر إقبالا على العروض، لأن كاتب النص القديم رحل من عوالم الكتابة والمخرج الممل استقال، برلمان جديد مدعوم بمواقع التواصل الإجتماعي المختلفة، تجعل الكل حاضر وغائب في نفس الوقت، لقطة مصورة عابرة قد تجعل منك بطلا أو مهزلة يتداولها المراهقون.

كانت بداياته بوتيرة محتشمة ولكن مع مرور الأيام أضحى رقما لا يمكن تجاوزه، فقد استوعب بسرعة دواليب العمل البرلماني وكواليسه وكيفية نسج علاقات مهمة مع كل وزراء الحكومة.

في بهو الفندق جلس منزويا يتفقد أحوال البلاد والعالم عبر هاتفه النقال، هناك إشاعات مفادها إمكانية حل البرلمان الحالي، لا يدري مصدرها، مؤسف أن يقع ذلك وهو الذي يعتبر نفسه حديث العهد في دنيا السياسة والمال والأعمال.

-هل سمعت بما يدور هذه الأيام بخصوص حل البرلمان؟ يبدو أن الرئيس هذه المرة لن يتراجع عن تنفيذ ما أعلن عنه منذ أشهر.

- في الوقت الذي بدأنا فيه نتأقلم مع الأوضاع يصدر قرار مثل هذه، ننتظر الجديد قريبا.

ابتعد عن زميله، وهو مستغرب من تغير أحوال البلاد بسرعة رهيبة، يتعين عليه أن يبحث عن فضاء آخر يتماشى مع قدراته ورغباته.

جلسة المصادقة على برنامج الحكومة تستقطب عادة حضور كل النواب، الذين تعودوا على الغياب والتجول في الأروقة أو الجلوس في الكافيتريا، ما زال البعض يتصور أنه لم يغادر مقاعد الدراسة، حيث كان الهروب من المدرسة انجازا كبيرا.

كانت سعادة النواب كبيرة حين أبلغهم رئيس الحكومة بأن عهدتهم متواصلة وفند كل الإشاعات والأكاذيب التي تروج لهذا الأمر معتبرا أن الأمر يتعلق بأبواق لا تريد الخير للبلاد والعباد.

الآن يمكنه أن يواصل مهامه النيابية بكل أريحية، انه ممثل الشعب وعليه أن ينقل كل انشغالاته، ولكن عليه أيضا الإستفاذة القصوى من هذه المرحلة، لأن العهدة مهما طالت ستنتهي.

فهرس المحتويات

أجساد وأوغاد.....05
البحر الأبيض الحزين.....08
تحت المراقبة.....12
تعديل حكومي مرتقب.....15
حين تبتسم الأقدار.....18
ذكريات فوق السحاب.....21
شاهد عيان.....26
صاحب القدرات الخارقة.....29
صائد الأحلام.....32
عادل بن سالم.....35
غنيمة متواضعة جدا.....40
في انتظار صاحب القرار.....41
في حدود ما يسمح به القانون.....45
قيد التأسيس.....50
كوفيد..19.....53
ليلة القبض على بائع الخبز.....56
ما بعد الخطوط الحمراء.....61

محاولة انتحارية.....65
نزوة غير عابرة.....67
وافد إلى البرلمان.....71